٤

الإيمان بالكتب السماوية عامة وبالقرآن الكريم خاصة

أولًا: الإيمان بالكتب السماوية عامة

ثانيًّا: القرآن الكريم ومنزلته بين كتب الله تعالى

ثالثًا: ثمرات الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة

رابعًا: تربية الأبناء على الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة

الفصل الرابع
الإيمان بالكتب السماوية عامة وبالقرآن الكريم خاصة

مقدمة:

الإيمان بالكتب السماوية يعنى التصديق الجازم بأن الله أنزل كتبه على رسله، لتكون شرعة ومنهاجًا لمن أنزلها إليهم من خلقه، والاعتقاد بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان... ومن تلك الكتب: التوراة التى أنزلت على موسى، والزبور التى أنزلت على داوود، والإنجيل الذى أنزل على عيسى، وآخرها المصدق لها والمهيمن عليها جميعًا القرآن الذى أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه وعلى كل الأنبياء والمرسلين السلام.

ويمكن التناول لذلك الركن من أركان العقيدة فى أربع نقاط، وهى:

- الإيمان بالكتب السماوية عامة.
- القرآن الكريم ومنزلته بين كتب الله تعالى.

- فضائل الإيمان بكتب الله عامة، وبالقرآن الكريم خاصة.
- تربية الأبناء على الإيمان بكتب الله عامة، وبالقرآن الكريم خاصة.

أولاً: الإيمان بالكتب السماوية عامة

أنزل الله كتبه على رسله، لتكون شرعة ومنهاجًا لمن انزلها إليهم من خلقه. وكان كل رسول يصدق ويؤمن بما أنزل على من سبقه من الأنبياء والمرسلين.

فأنزل الله التوراة على موسى، ثم أرسل من بعد موسى الكثيرين من أنبيائه ورسله على بنى إسرائيل، حتى آخرهم عيسى، عليهم السلام أجمعين، مصدقين لما جاء بالتوراة وداعين قومهم إلى التمسك بشرع الله. بل وموسى نفسه- كما جاء بالتوراة- كثيرًا ما كان يذكِّر قومه بما وعد الله به السابقين من آبائه المرسلين.

فجاء بالتوراة عهد الله مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، حيث قال الرب لإبراهيم: [أقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدًا أبديًّا. لأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك. وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا أبديًّا وأكون إلههم][تك: ١٧: ٧- ٨]. و[كلم الله موسى وقال له: أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء...

وأيضًا أقمت معهم عهدى: أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها][خر٦: ٢-٤].

وتتابعت أنبياء بنى إسرائيل وكلهم مؤمنون بشريعة موسى، ويقرءونها على أقوامهم مع الشروح والتفاسير أو الصلوات والدعوات والتسابيح... داعين أقوامهم للإيمان بالتوراة، ومن ذلك وصية داود لابنه سليمان عليهما السلام حينما قربت أيام وفاته: [أحفظ شعائر الرب إلهك، إذ تسير فى طريقه، وتحفظ فرائضه، ووصاياه وأحكامه وشهاداته، كما هو مكتوب فى شريعة موسى][١مل٢: ٣].

وبُعث عيسى عليه السلام- آخر أنبياء بنى إسرائيل- مؤمنًا بالتوراة وما أنزل على الأنبياء السابقين، حيث قال: [لا تظنوا إنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل] [مت٥: ١٧].

وقد كان عيسى عليه السلام حينما يعلم فى المجمع يقرأ عليهم مما جاء بالكتب السماوية السابقة، مما يدل على إيمانه بها. ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء بإنجيل لوقا حيث: [دخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ فدُفع إليه سفر إشعياء النبى، ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوبًا فيه: روح الرب على، لأنه مسحنى لأبشر المساكين، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، لأنادى

للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر، وأرسل المنسحقين فى الحريـة، وأكرز بسنة الرب المقبولة. ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم، وجلس. وجميع الذين فى المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقـول لهـم: إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم][لو٤: ١٦-٢١].

وكثيرًا ما كان عيسى عليـه الـسلام يستـشهد بآيـات مقتبـسة مـن الكتب السابقة. وقـد ورد ذلـك بمختلـف الأناجيـل كقولـه للكتبـة والفريسيين: [حسنًا تنبأ إشعياء عنكم أنتم المرائين، كما هو مكتـوب]. وقال لهم أيضًا: لأن موسى قـال:...][مـر٧: ٦، ١٠]. وكثـيرًا مـا قـال: [لأنه هكذا مكتوب بالنبى...][مـت٢: ٥]، [ليـتم الكتـاب القـائم:... وأيـضًا يقـول كتـاب آخـر...][يـو١٩: ٢٤،٣٦،٣٧]... ونحـو ذلـك فى الشرائع والوصايا التى جاءت بالأناجيل، وقد جاءت من قبل فى كتب السابقين من الأنبياء والمرسلين. مما يدل على إيمان عيسى عليه الـسلام بتلك الكتب، ويدل على دعوته لقومه ليؤمنوا بها.

وقد صدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول فى قرآنـه الكـريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللهِّ إِلَـيْكُم مُّـصَدِّقًا لِّمَـا بَيْنَ يَدَى مِنَ التَّوْرَاةِ﴾(الصف:٦). أى "قال عيسى لبنـى إسرائيـل: إنـى رسول الله أرسلت إليكم مصدقًا ومعترفًا بأحكام التـوراة، وكتـب الله وأنبيائه جميعًا، ولم آتكم بشىء يخالف التوراة حتى تنفروا عني"(٧٧).

وقد جاء الإسلام مؤكدًا أن الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان العقيدة فى الإسلام، وهو الركن الثالث من الأركان الستة التى لا يصح إيمان عبد إلا باستكمالها جميعًا. وذلك لأنها شريعة الله ودستوره المنزل على رسله، للحكم بها بين خلقه ولضبط حركة الحياة بينهم وتنظيمها.

ولهذا فالمسلم مطالب بأن يؤمن بالقرآن الكريم وما سبقه من الكتب السماوية التى أنزلت على رسل الله السابقين، امتثالًا لقول المنزل لكتبه على رسوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِه...﴾(البقرة:٢٨٥)... تلك الكتب التى ذكر القرآن منها: التوراة التى أنزلت على موسى، والإنجيل هو الكتاب المنزل على عيسى، والزبور هو كتاب داود، وصحف إبراهيم.

ومن الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالكتب السماوية، ذلك الدليل الشرعى المؤكد بأمره سبحانه وتعالى بطاعته وتحريم معصيته فى الإيمان بكتبه، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا بَعِيدًا﴾(النساء:١٣٦). فهذه الآية وحدها كافية فى الدلالة على وجوب الإيمان بكتب الله تعالى عامة، وبالقرآن الكريم خاصة(٧٨).

كما أكد رسول الله ﷺ على الإيمان بكتب الله، فى حديثه عن الإيمان بأنه: (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)[٧٩].

أما كون الإيمان بالكتب السماوية واجبًا عقليًّا، ويؤكد العقل الحاجة إليها، "فإنه يظهر للمتأمل من حيث حاجة العباد إليها، وإقامة الحجة عليهم بها، فإن الرسول المبلغ عن الله شرائعه وأحكامه يحتاج فى إثبات رسالته إلى كتاب من الله تقوم به الحجة على تلك الأمة التى أرسل إليها حتى يؤمنوا به ويصدقوه ويتبعوه ويعملوا بما جاء به. والتشريع الإلهى نفسه يفتقر إلى كتاب يحويه ويتضمنه، ويثبت فيه، ليبقى بعد وفاة الرسول الذى جاء به شرعًا محفوظًا تعمل به الأجيال إلى المدى الذى حدد له بنسخه برسالة أخرى، أو بنسخ بعض ما جاء فيه كما حصل للتوراة والإنجيل. فقد نسخ الله تعالى بالإنجيل بعض أحكام التوراة، ونسخ بالقرآن الكريم الإنجيل والتوراة كليهما. ولولا بقاء الكتاب بعد الرسول لضاع الدين الذى جاء به، أو ضاع الكثير منه، وحينئذ يقول الناس: بم نعبد الله؟ وكيف نعبده ولم يكن لدينا من شرائعه ما نعبده به؟؟

وهكذا، فاحتياج الرسول فى إثبات رسالته إلى كتاب من ربه تقوم به الحجة على قومه، وافتقار التشريع الإلهى إلى كتاب يحويه، وعدم

إعطاء الناس الحجة فيما يتعبدون به أو يتعاملون، هي التي اقتضت عقلًا وجود كتب إلهية، كما اقتضت وجوب الإيمان بها(٨٠).

وقد طال الزمان على الكتب الإلهية السابقة– أى السابقة للقرآن فى النزول– وتناولتها الأيدى بالتبديل والتأويل، وبلغت الاختلافات الدينية مبلغًا كبيرًا. فقد شهد عيسى عليه السلام بتحريف اليهود للتوراة، فقال لليهود: [لأن موسى قال:... وأما أنتم فتقولون:...، مبطلين كلام الله بتقليدكم الذى سلمتموه. وأمورًا كثيرة مثل هذه تفعلون][مر١٣:٧].

كما تصدى القرآن الكريم لنقد التوراة موضحًا أن أتباعها قد غيروا وبدلوا فى تعاليمها حسب أهوائهم. فقال الله تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[النساء:٤٦]، أى من اليهود قوم يحرفون كلام التوراة ويفسرونه بغير مراد الله قصدًا وعمدًا(٨١).

وقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة بعد المسيح وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية حيث بلغت خمسة وثلاثين إنجيلًا(٨٢)، ثم أرادت الكنيسة فى أوائل القرن الرابع الميلادى أن تختار الأناجيل المعتبرة، فاختارت الأناجيل الأربعة وهى: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا(٨٣). وإن كان هناك إنجيل خامس متداول وهو إنجيل برنابا، ولكن البعض منهم يشكك فى صحته(٨٤).

وقد كُتب إنجيل متى فى السنة الثامنة لصعود السيد المسيح إلى السماء، أى نحو سنة ٤١م فى فلسطين. وكتب إنجيل مرقس عام٦١م فى مصر. وكتب إنجيل لوقا عام٦٣م فى مدينة الأسكندرية كما يقول العلماء، وآخرون يقولون أنه كتب فى اليونان. وكتب إنجيل يوحنا سنة ٩٧/ ٩٨ م فى مدينة إفسس[٨٥]. وقيل: "إنه فى الفترة الممتدة من عام ٧٠ بعد الميلاد وحتى عام ١١٠ بعد الميلاد تمت صياغة أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وقيل: إنها كتبت فى بداية القرن الثانى الميلادى. وجاء أيضًا فى مقدمة الطبعة المسكونية للأناجيل: قبل عام ١٤٠ بعد الميلاد، لم يكن هنالك بأى حال ما يدل على وجود كتابات تحريرية للأناجيل"[٨٦].

والقرآن الكريم لا يقر بعض ما فى هذه الأناجيل ولا يعترف بأنها من عند الله، وذلك بما صرح به من أن الله نزل على رسوله عيسى عليه السلام إنجيلا- بصيغة المفرد- وهو غير الأناجيل التى كتبت بعده، وتختلف فيما بينها اختلافًا بينًا، قال تعالى فى معرض كلامه عن اليهود: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾(المائدة:٤٦). ومن جهة أخرى أعلن أن النصارى نسوا طائفة من أصل كتاب الله[٨٧]. قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾(المائدة:١٤). فكان نتيجة النسيان والتحريف أن اختلفوا فيما

بينهم، فبث المولى سبحانه بينهم العداوة والبغضاء إلى قيام الساعة، فلا يزالون متباغضين متعادين، يكفِّر بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا، وكل فرقة تمنع الأخرى دخول معبدها[٨٨].

لذلك أرسل الله رسوله الخاتم محمدًا ﷺ بالرسالة الشاملة وللبشرية جميعًا وبآخر الكتب السماوية وأشملها القرآن الكريم.

ثانيًا: القرآن الكريم ومنزلته بين كتب الله تعالى

بعدما أنزل الحق تبارك وتعالى كتبه السماوية السابقة، وبعد أن نُسى من شرائعها ما نسى، و"بعد ما تناولت الأيدى ما بقى منها بالتبديل والتأويل، وبلغت الاختلافات الدينية مبلغًا كبيرًا، وكانت البشرية فى خطر المروق من دين الله والاستسلام للوثنية والإلحاد، وأصبح العالم فى حاجة إلى وحى من الله يجنبه مواطن الضلال ويهديه إلى سواء السبيل، وكان أهل كل كتاب يكفرون من عداهم واختلفوا فى معرفة الحقيقة الإلهية وكنه الدين، جاء القرآن يبين الحق من الباطل ويبين للناس ما أشكل عليهم"[٨٩]، ويهديهم إلى سواء السبيل. قال تعالى مخاطبًا محمدًا ﷺ: ﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل:٦٣– ٦٤).

هـذا، ويمكـن لأى إنـسان مفكـر محايـد، أن يـسأل الـسؤال: مـا الشروط التى يجب توافرها فى كتاب سماوى حتى يمكن الحكـم عليـه (وبعدل) بأنه وحى السماء المعجز الخالد وأنه عالمى شامل؟

وللإجابة عن هذا السؤال: وضع رجـال مقارنـة الأديـان شروطًـا يجب أن تتوافر فى كتاب حتى يمكن أن يطلق عليه أنه كتاب الله المعجز الخالد وأنه عالمى شامل وليس محليًّا قاصرًا. وهـذه الـشروط المحايـدة هى[٩٠]:

١- أن يكون الكتاب فى أسلوب الوحى- وهو أسلوب خطـابى، فيجرى من المصدر مباشرة ليصب فى أذن المستمع إليه؛ أى لا دخل لشخصية الرسول أو ذاتيته فيه.
٢- أن يكون تاريخ تدوينه من المصدر مباشرة، ليكـون معـصومًا من الخطأ والنسيان.
٣- أن توجد منه نسخة وحيـدة فى أى زمـان ومكـان، لأن الحـق واحد لا يتعدد.
٤- أن يكون خاليًّا تمامًا من التناقض، لأن كلام الله لا يتناقض.
٥- أن يكون معجزًا فى معانيه ومبانيه، وينطبق ذلك على أكـبر وحـدة أو جزء وأصغر آية فيه، لأنه كلام الله.
٦- أن يحتوى على التنزيه الكامل التام للألوهية، لأن كتابًا لا ينـزه الذات الإلهية لا يمكن أن يكون من عند الله.

٧- أن يحتوى على تنزيه الرسل المكرمين لأنهم اختيار الله بعلمه وحكمته. وهل يختار الحق إلا الحق؟!

٨- أن يغطى جميع جوانب الحياة، المادية والمعنوية، وأن يكون عالميًّا فى منهاجه.

٩- أن يهيمن على كل ما سبقه من رسالات، ويحتوى على نص صريح بأنه الخاتم.

١٠- أن تنطبق الإشارات العلمية التى فيه على حقائق الكون المكتشفة، سواء فى الأرض أو فى السماء، فى الذرة أو فى المجرة.

والباحث المدقق والمحايد الصادق سوف يجد أن هذه الشروط لا تنطبق إلا على كتاب وحيد فى العالم- ذلك الكتاب- هو القرآن الكريم. حيث تتحقق فيه هذه الشروط المحايدة وبوضوح، وهى:

(١) أن تاريخ تدوينه كان وقت نزوله ومن المصدر مباشرة. "فالتاريخ القرآنى يؤكد أن الرسول ﷺ كان يملى على أصحابه ما ينزل عليه من آيات الكتاب أولًا فأولًا، وأن أصحابه قد تلقوا ما نزل من الوحى فحفظوه فى صدورهم بعد أو قبل ما كتب من الوحى ما نزل منه"(٩١).

(٢) أنه- أى القرآن الكريم- هو الكتاب الوحيد الذى يحمل صفة

الوحى المنزل بحيث يحس المستمع إليه بأن هناك متكلمًا به من وراء الغيوب، يخاطب السامعين مباشرة، وكل دور الوسيط الرسول هو كدور المرآة يعكس الشعاع دون تدخل منه فيه.

(٣) أنه شامل وكامل بحيث لا يحتاج إلى وصلة أو مكمل وأنه دستور شامل لكل جوانب الحياة.

(٤) أنه يحمل إعجازه المتجدد الخالد فيه وهو ما يظهر فى الإعجاز العلمى العالمى[٩٢].

(٥) أنه ينزه الذات الإلهية ولا يشرك بالله أحدًا.

(٦) أنه ينزه الرسل ولا يتهمهم بما لا يليق بهم كما اتهمتهم الكتب السماوية السابقة: كشربهم الخمر[٩٣]، أو إعانتهم على شرب الخمر[٩٤]، أو اتهامهم بالزنا مع محارمهم أو مع غيرهم[٩٥]، أو أنهم لصوص[٩٦]، أو أنهم يبدلون حكم الله- من تلقاء أنفسهم- تبعًا لأهواء أقوامهم وإرضاءً لهم[٩٧]، أو نحو ذلك.

(٧) أنه عالمى لكل البشر، بنصه الصريح، ومبادئه الإنسانية، وشريعته الصالحة لكل زمان ومكان... كما أنه يحترم البشر كل البشر ويكرِّمهم، ولا يقول بأى شكل من أشكال التفرقة العنصرية أو غير العنصرية، واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، بل يرفض ذلك ويحرمه... إلى غير ذلك من

مميزات- يراها ويقرها كل منصف- يختص بها دون غيره من الكتب السماوية.

ذلك الكتاب الحق الذى قال المولى سبحانه وتعالى فى شأن عزته ومنعته: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(البقرة:٢). وقال: ﴿...إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(فصلت:٤١-٤٢). كما تولى المولى حفظه بنفسه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:٩).

ذلك الكتاب الذى "نسخ الله تعالى به كل ما سبق من الكتب، لأنه متأخر عنها فى النزول. وسنة النسخ وطريقته أن ينسخ المتأخر المتقدم، واللاحق السابق. ولأن الرسالة التى تضمنها رسالة عامة لكل الناس، أبيضهم وأسودهم، وأحمرهم وأصفرهم. فلم تكن مخصوصةً لشعب دون آخر من شعوب البشر. كما أن الكتب المتوفرة والموجودة لدى نزوله كان قد داخلها التحريف والتبديل والتغيير والزيادة والنقصان، وذلك بنسيان أهلها لأكثرها، ولانقطاع سندها إلى من أوحيت إليهم من أنبياء بنى إسرائيل ورسلهم. فأصبحت تلك الكتب لا تمثل حقيقة كتب الله تعالى، ولا تحمل الهدى والنور والرحمة والموعظة لأهلها، فضلًا عن غيرهم، فلم تكن قادرة على الإصلاح ولا الهداية للخلق"... لذلك أنزل الله كتابه الكريم على رسوله الخاتم محمد ﷺ "مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها"[٩٨]. حيث قال

سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾(المائدة:٤٨). فيتعين بذلك نسخ القرآن الكريم لما سبقه من كتب الله تعالى.

والقرآن الكريم هو كتاب الله الشامل الكامل، الذى يحمل كل تعاليم الدين، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾(المائدة:٣). وهو الكتاب المبين الذى يحمل النور والهداية لكل من اتبعه ويهديه إلى سبل السلام: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ *يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(المائدة: ١٥-١٦).

ذلك الكتاب الذى يحمل الشريعة لكل العالمين حيث قال سبحانه فى سور يوسف، وص، والتكوير: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف:١٠٤)، وفى سورة القلم: ﴿وَمَا هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (القلم:٥٢). أى "ما القرآن إلا شريعة للعالمين. وكلمة العالمين جمع عالم- بفتح اللام- أى أن القرآن شريعة للعالم كله بجميع أجناسه وشعوبه"[٩٩]، ولعالم كل وقت وحين إلى يوم الدين.

وهكذا، فالقرآن الكريم كتاب الله المبين، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذى تعهده الله بحفظه، وجعله آخر كتبه،

والمهيمن عليها والناسخ لها، والذى يحمل الشريعة الشاملة الكاملة لكل العالمين فى كل زمان ومكان.

ثالثًا: ثمرات الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة

للإيمان بكتب الله العديد من الفوائد والثمرات، منها:

١- العلم بعناية الله تعالى بعباده، حيث أنزل لكل أمة كتابًا يهديهم به، حتى أنزل آخرها القرآن الكريم رحمة وهداية لكل العالمين... فقال سبحانه فى شأن التوراة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٤٣]... وقال تعالى فى شأن القرآن الكريم: ﴿وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢]، وقال عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]. وقال تعالى: ﴿الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان:١-٣].

٢- العلم بحكمة الله تعالى فى شرعه، حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم[١٠٠]، لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨].

٣- شكر الله على نعمه بإرساله كتبه عامة، وإرساله أخرها والمهيمن عليها، القرآن الكريم، لهداية كل البشرية، فى كل زمان ومكان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٤- الالتزام بما شرعه الله فى قرآنه الكريم لهداية البشرية وإصلاح شئونها.

٥- الثقة والاطمئنان والراحة النفسية للسير على نهجه القويم لأنه الصراط المستقيم.

٦- حماية المسلم من التخبط والفوضى والضياع لوضوح المنهج ويسره.

٧- جمع الأمة ولم شملها على المنهج الصحيح والصراط المستقيم.

٨- تحقيق الخير والصلاح والتقدم والرقى فى الحياة الدنيا للأخذ بتوجيهاته سبحانه وهو اللطيف الخبير، الذى يعلم ما يصلح شئون عباده وما يفسدها، ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤].

٩- الفوز برضا الله لامتثال شرعه والسير على نهجه، والفوز بجنته ونعيمه ورضوانه، والنجاة من غضبه وناره وعذابه.

رابعًا: تربية الأبناء على الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة

يمكن تربية الأبناء على الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة من خلال مجموعة من الإجراءات، موجزة كما يلى:

١- تعريف الأبناء بما علمنا من الكتب السماوية: كالتوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام، والزبور الذى أوتيه داوود عليه السلام، والقرآن الكريم الذى أنزل على محمد ﷺ، وحثهم على الإيمان بتلك الكتب... أما ما لم نعلم اسمه من الكتب السماوية فنعرّفه بأن يؤمن بها إجمالًا.

٢- التأكيد على إيمانهم بتلك الكتب السماوية بالأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية، مع الإشارة إلى الأدلة الواردة بالكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل.

٣- التأكيد على إيمانهم بتلك الكتب السماوية بالأدلة العقلية، لكونها واجبًا عقليًّا، يؤكد العقل الحاجة إليها، للتعبد بها، ولإثبات رسالة الرسل، وللعمل وفق ما شرعته على من شرعت لهم فى مضمار حياتهم.

٤- تعليمهم ثمرات الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة.

٥- تعريفهم بأن الكتب السماوية السابقة منسوخة بالقرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة: ٤٨]، أى مصدقًا لما صح من هذه الكتب وحاكمًا عليها، وعلى هذا لا يجوز العمل

بأى حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وصدقه القرآن وأقره.

٦- التأكيد على أن القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز الخالد، وأنه عالمى شامل وليس محليًّا قاصرًا، وأنه صالح لكل زمان ومكان، وبكل ما يتميز به القرآن الكريم من شروط وضمانات تحقق له ذلك.

٧- التأكيد على أن الدين عند الله الإسلام. فهو الدين الشامل الكامل الذى لم يقبض رسول الله ﷺ حتى اكتمل هذا الدين، ونزل ما يؤكد ذلك فى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[آل عمران:١٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥].

ويمكن تربية الأبناء على الإيمان بكتب الله عامة وبالقرآن الكريم خاصة منذ نعومة أظافرهم... لما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن النبى ﷺ قال: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه)(١٠١). وذلك لأن فى تلاوتهم للقرآن الكريم وحفظه توثيقًا للاتصال به روحًا ومنهجًا.

وانظر لما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول اللهﷺ أنه قال: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين...)[١٠٢]، لتجد أمره ﷺ بتلاوة الأولاد وحفظهم للقرآن من قبل سن السابعة، لأن الصلاة لا تكون إلا بشىء من القرآن.

وقد أكد علماء التربية المسلمون تعليم الصبيان القرآن الكريم... فذلك الغزالى يوصى فى إحيائه بتعليم الصبى القرآن، ويقول: "فإن الصبى مهما أهمل فى ابتداء نشوئه خرج فى الأغلب ردئ الأخلاق، كذابًا حسودًا سروقًا نمامًا لحوحًا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة... وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يشغل فى المكتب – أى فى الكُتاب – فيتعلم القرآن"[١٠٣]. ومعلوم أن بالقرآن يتقرب العبد إلى ربه، وبالقرآن يعرف كل الفضائل ليأتيها، ويعرف كل الرذائل ليجتنبها.

وأشار ابن خلدون فى مقدمته إلى أهمية تعليم القرآن وتحفيظه للأطفال، وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم فى جميع المناهج الدراسية فى مختلف البلاد الإسلامية، لأنه شعار من شعائر الدين يؤدى إلى تثبيت العقيدة ورسوخ الإيمان فى القلوب. وقال: بأن القرآن أصل التعليم الذى يبنى عليه ما يحصل به من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغير أشد رسوخًا، وهو لأصل لما بعده؛ لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه[١٠٤].

هوامش الفصل الرابع

(٧٧)محمد على الصابونى: مرجع سابق، ص٣٧٢.

(٧٨)أبو بكر جابر الجزائرى: مرجع سابق، ص١٤٠.

(٧٩)رواه مسلم (٨).

(٨٠)أبو بكر جابر الجزائرى: مرجع سابق، ص ص:١٤١-١٤٢.

(٨١)محمد على الصابونى: **صفوة التفاسير**، جـ١، القاهرة، دار الصابونى، د ٠ ت، من ٢٨٠.

(٨٢) أبو بكر جابر الجزائرى: مرجع سابق، ص٥٧.

(٨٣)عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص ص١٤٢—١٤٥.

(٨٤)فريز صموئيل: مرجع سابق،

(٨٥)لوقا الأنطونى: **كتبة العهد الجديد**، مراجعة وتقديم: نيافة الأنبا متاؤس الأسقف العام، القاهرة، دار الطباعة القومية بالفجالة، ١٩٩٢م، ص ص١٧، ٢٤، ٣٠، ٣٩.

(٨٦)موريس بوكاى: **التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث**، ترجمة: على الجوهرى، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٩٩م، ص ص٨٩، ٩٢.

(٨٧)عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٤٥.

(٨٨)محمد على الصابونى: **صفوة التفاسير**، جـ١، مرجع سابق، ص٣٣٣.

(٨٩)عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٤٥.

(٩٠)حسين رضوان اللبيدى: "الصوت القاتل ورسم خريطة للمخ البشرى فى القرآن الكريم"، **أعمال الندوة الثالثة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، نوفمبر ١٩٩٥**، جامعة جنوب الوادى، مطبعة الجامعة، طبعة ١٩٩٨م، ص ص٧٦–٧٧.

(٩١)سعيد إسماعيل على: **القرآن الكريم رؤية تربوية**، مرجع سابق، ص١٢٥.

(٩٢)حسين رضوان اللبيدى: مرجع سابق، ص٧٧.

(٩٣)ارجع إلى: **العهد القديم** (سفر التكوين١٩: ٣٣، ٣٥) ، (سفر التكوين ٢٧: ٢٥) والعهد الجديد (متى١١: ١٩). (لوقا ٧: ٣٤).

(٩٤)أقرأ العرس فى قانا الجليل والمعجزة الأولى لعيسى (يوحنا ٢: ١ – ١١).

(٩٥)**العهد القديم**: سفر التكوين ١٩: ٣٢ – ٣٨) ، (سفر صموئيل الثاني١١: ٤).

(٩٦)**العهد الجديد**: (يوحنا ١٠: ٨).

(٩٧)**العهد الجديد**: (متى ١٨: ٧– ٨) ، (مرقس: ١٠: ٤ – ٥).

(٩٨)أبو بكر جابر الجزائرى: مرجع سابق، ص ص١٤٦ – ١٤٧.

(٩٩)شوقى ضيف: مرجع سابق، ص١٤.

(١٠٠) أحمد مصطفى متولى: مرجع سابق، ص١٠٦.

(١٠١) رواه الطبرانى. فى: عبدالله ناصح علوان: مرجع سابق، جـ١، ص١١٩.

(١٠٢) أبوداود: **سنن أبى داود**، جـ١، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، د.ت، حديث (٤٩٥). رواه الترمذى (٤٠٧).

(١٠٣) الغزالى: **إحياء علوم الدين**، جـ٣، مرجع سابق، ص١٠٦.

(١٠٤) ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، الأسكندرية، دار ابن خلدون، د.ت، ص٣٩٧.